الأجنبية على أن تستخدم من تخرج فى المدارس المصرية ، لأن الأول يجيد اللغتين كتابة وحديثاً ، والثانى أبانت التجربة أنه لا يجيدهما كأخيه . أتدرون لم ذلك ؟ إن شؤم طريقة تعليم اللغة بالقواعد قد تعدى إلى هاتين اللغتين ، فمدارسنا المصرية تعلمهما على طريقة حفظ القواعد ، أما المدارس الأجنبية فتعلمهما على الطريق الطبعى طريق الحفظ والتكرار والمحادثة حتى تثبتهما ملكتين راسختين فى النفس فيجيد تلاميذها الكتابة والحديث بهما ، ومن أين لتلاميذ المدارس المصرية أن يجيدوهما وهم إنما عرفوا القواعد ولم يجعلوهما ملكتين بالحديث والتكرار ؟

ومن ذلك نعلم أن هذا الإخفاق لا يرجع إلى قصور فى عقول التلاميذ المصريين ولا إلى كسل يستولى عليهم ، وإنما يرجع إلى هذا الأسلوب العقيم . وهذا هو السر أيضاً فى كثرة التلاميذ الذين يرسبون فى هاتين اللغتين ، فنحن الذين يجنون عليهم ، ثم نحملهم جريرة عملنا ، ونأخذهم بذنوبنا

سمعت أحد أبنائى يردد صيغاً من اللغة الإنكليزية ويقول هذا للمذكر وهذا للمؤنث وهذا للجمع

فقلت له : ما ذا تفعل ؟ قال : أحفظ درس القواعد . قلت له : ما هكذا يكون ، ينبغى أن تأتى بجمل تامة من اللغة الإنجليزية فى مخاطبة المذكر ومخاطبة المؤنث والجمع ، وتفهم معناها وتكررها وتحفظها ، وتتحدث بها حتى تكون ملكة ، ثم تأخذ القاعدة منها إن شئت . هذا هو الأسلوب الفطرى فى تعلم اللغة ؛ أما أن تأخذ اللغة من القاعدة فهذا ليس طريقاً طبعياً . لقد كان يعجزنا ونحن تلاميذ أن نحفظ قواعد اللغة العربية ، فكنا نستعين عليها باستنتاجها مما نحفظ ومما رسخ فى أذهاننا ، وصار ملكة فينا . مثلاً : إذا كنا لا ندرى ما عمل كان وأخواتها ، وما عمل إن وأخواتها ، رجعنا إلى ما رسخ فى نفوسنا ، واستشرنا ملكاتنا ونطقنا بأمثلة نحفظها ، فيها كان وإن ، ونرى كيف تنطق بها ألسنتنا ، كقوله تعالى : « كان الله غفوراً رحيما » ، « وإن الله على كل شىء قدير » . ونستنبط من ذلك أن كان ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وأن إن تنصب الاسم وترفع الخبر ، وهذا تقريب لما أريد أن يكون فى تعليم اللغات . أريد أن تثبت الأساليب والألفاظ بالحفظ والتكرار حتى تكون ملكة ، ثم تستنتج منها القواعد ، ولا أريد أن تحفظ القواعد لتعلم منها الأمثلة ، فإن ذلك لا يجعلها ملكة إلا أن يلجأ إلى الحفظ والتكرار

ومن العجب أن تكبت هذه المدارس بين ظهرانينا هذا الدهر الطويل ونرى أسلوبها الناجح فى تعليم اللغات ، ونلمس نجاحه ولا نقتبس منها هذا الأسلوب !

أيرى قوم طائفة تعمل عملاً فتنجح ، ويعملون هم هذا العمل فيخيبون ، ولا تدعوهم أنفسهم لترك أسلوبهم واقتباس أسلوب الناجحين ؟ وأعجب من هذا أن ترى هذه المدارس أسلوبنا الخائب ، وتلمس خيبته فلا تنصحنا ولا ترشدنا إلى الطريق القويم فى تعليم اللغات

أيستطيع أحد أن يرى ضالاً يمشى على غير الجادة تنكبه الأحجار وترديه الحفر ، ولا يقيمه على الجادة ؟

لست أدرى أأرجع باللائمة علينا لعدم استفادتنا منهم ، أم أرجع باللائمة عليهم لعدم إرشادنا ؟ ولكن يظهر أن بين الجماعات منافسة كما بين الأفراد ؛ فلا ترى جماعة جماعة ضالة وتهديها السبيل . فإن كان ذلك كذلك فقد أغناكم الله عن أجنبى يضن عليكم بالنصيحة . وها كم النصيحة من رجل من أنفسكم محب لكم بود خيركم ، ويحرص على نفعكم ، ويعز عليه أن تضيع جهودكم ، وأن تبدد أعماركم . وهو ناصح أمين ؛ فهل أنتم منتصحون ؟

محمد عرفه

إلى هواة المغناطيسية

وإلى المصابين بالاضطرابات العصبية

ترسل تعليمات مجانية من شرح طرق وتدريبات تعلمك كيف تتخلص من الخوف والوهم والخجل والكآبة والوسواس ومن جميع الاضطرابات العصبية والعادات الضارة كشرب الدخان ومن العلل والآلام الجسدية وفى تقوية الذاكرة والإرادة ودراسة الفنون المغناطيسية لمن أراد احتراف التنويم المغناطيسى والحصول على دبلوم فى هذا الفن اكتب إلى الأستاذ ألفريد توما ٧١٩ شارع الخليج المصرى بغمرة بمصر وارفق بطلبك ٣٠ مليماً طوابع المصاريف فتصلك التعليمات مجاناً

عمـــــر بن الفارض

للأستاذ يوسف يعقوب مسكرنى

صفحة ناصعة من تاريخ الأدب العربى . صفحة ذات معان ومزايا متنوعة يقف السامع بإزائها حائراً مبهوتاً كأنه يتسمع إلى ألحان من الموسيقى الإلهية ، بل نغم ينبعث من أجواء علوية ، كأنه الإلهام الذى يستولى على الدماغ ويمتزج بالفكر فيكون سحراً . تلك هى حال القليلين الذين يضن الدهر والتاريخ علينا بهم لأنهم مثلوا عصوره . بهم تفيض علينا معانى النبوغ والعبقرية تلك المعجزة الإلهية ؛ وهذا شأن العظمة التى يخلقها العظيم فيعظم عصره ؛ وهكذا تنطوى عندئذ صفحة من صفحات التاريخ وسفر جليل من السفارة يكون رمزاً للحياة الماضية والحاضرة . وهذا ابن الفارض الشاعر الرقيق المفتون بالعزة الإلهية بشعره ، العابد للجمال الربانى بمنظومه ، فهو شاعر العاطفة الذى يثير ما فى القلب من الأحزان والمآسى التى طبعتها صروف الأيام . يرينا ابن الفارض ألواناً من شعره تلذ لك فتبحث عن الرقة والخيال وكل ما هو جميل فى الكون من المبهجات . هو الشاعر المبدع الفيلسوف فى وصف الحب والجمال . وهل من شىء سواهما أعز لدى المرء فى الحياة الدنيا ؟ لا أظن شاعراً من الشعراء المتأخرين ممن سلك مسلك ابن الفارض فى شرح معنى الحب والجمال وما يجلبان على المرء من سوء المصير إذا ما عسر عليه وجدانهما أو فقد أحدهما . فهو الذى افتن فى وصف الحبيب والحنين إليه إذا ما غاب ، وفى وصف آلام المحب إذا ابتلى ، وفى خضوع الإنسان للجمال جمال الحبيب الذى يخلب اللب ويذيب الأحشاء . كل هذه الأوصاف تعمق ابن الفارض فى تحليلها وسبكها فى قوالب شعرية يعجز القلم عن نعتها . وها نحن أولاء نأتى باليسير منها لضيق المقام . أما مختصر ترجمته فهو الإمام العارف بالله الشيخ أبو حفص أبو القاسم عمر ابن أبى الحسن ابن المرشد بن على الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة ، المعروف بابن الفارض . ومعنى الفارض أنه يكتب الفروض للنساء على الرجال ، كما جاء فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان[1] . كانت ولادته بالقاهرة فى الرابع من ذى القعدة من سنة ٥٧٦ هـ فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وله ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه طريف ظريف ؛ وقد أبدع وأجاد بالمعانى والعبارات الرقيقة ، وشع بشعره فى الأفكار كالشمس فى رائعة النهار ، وكان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التجريد ، وجاور مكة الشرفة زماناً ، وكان حسن الصحبة محمودة العشرة . وقد قيل عنه إنه ينظم الشعر أحياناً فى النوم ومنه هذان البيتان :

وحياة أشـــواق إليـ ـك وتربة[2] الصبر الجميل
ماستحسنت[3] عينى سوا ـك ولا صبوت إلى خليل

وهو من أهل الطريقة الراسخة وهى طريقة العرفان بالله ولهذا كنى بالعارف بالله[4]

وممن وصفه الكاتب المبدع المرحوم جبران خليل جبران بقوله : « وكانت روحه الظمآنة (كذا) تشرب من خمرة الروح فتسكر ثم تهيم سابحة مرفرفة فى عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشاق وأمانى المتصوفين . ثم يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيات لتدون ما رأته وسمعته بلغة جميلة مؤثرة » . ثم يقول أيضاً : « إذا نظرنا إلى فنه المجرد وما وراء ذلك الفن من المظاهر النفسية وجدناه كامنا فى هيكل الفكر المطلق أميراً فى دولة الخيال الوسيع قائداً فى جيش المتصوفين العظيم ذلك الجيش السائر بعزم بطىء نحو مدينة الحق . ثم يقول أخيراً كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراءها ، ويغلق أذنيه عن ضجة الأرض ليسمع أغانى اللانهاية . هذا هو الفارضى ، روح نقية كأشعة الشمس ، وقلب متقد كالنار ، وفكرة صافية كبحيرة بين الجبال ، وفى شعره ما لم يحلم به الأولون ولم يبلغه المتأخرون » اهـ[5] . وتوفى بالقاهرة يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الأولى سنة ٦٣٢هـ . ودفن فى الغد حسب وصيته بالقرافة فى سفح المقطم تحت المسجد المعروف بالفارض . وقد قال ابن بنته الشيخ على فى ذكره :

جز بالقرافة تحت ذيل العارض ... وقل السلام عليك يا ابن الفارض
أبرزت فى نظم السلوك عجائباً ... وكشفت عن سر مصون غامض
وشربت من بحر المحبة والولا ... فرويت من بحر محيط فائض

وقال أبو الحسن الجزار :

(١) جـ ١ ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ط بولاق

(١) و (٢) و (٣) ديوان ابن الفارض ص ٢ ط ثانية فى مصر وفى وفيات الأعيان لابن خلكان « وحرمة » وكذلك « لا أبصرت » جـ ١ ص ٤٨٤ طبعة بولاق (٤) البدائع والطرائف لجبران خليل جبران ص ١٢٩ مع صورة خيالية من ريشته

لم يبق صيّب مزنة إلا وقد وجبت عليه زيارة ابن الفارض
لا غرو أن يسقى ثراه وقبره باق ليوم العرض تحت العارض[1]

أما ديوان شعره فيحتوى على مقطوعات وقصائد منها الموجزة والمطولة، متينة النظم دقيقة الحس رقيقة الشعور. وقد طبع ديوانه مرات وشرحه فى جزأين رشيد بن غالب معتمداً على شرحى الشيخ حسن البوريني والعلامة الشيخ عبد الغنى النابلسى الدمشقى الصوفى. وبهامش الشرح كشف الوجوه الغر، لمعانى نظم الدر، وهو شرح تائية ابن الفارض الكبرى المشتهرة بنظم السلوك ومطلعها:

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى وكأسى محيا من عن الحسن جلت

ومنها أيضاً:

وكل الليالى ليلة القدر إن دنت كما كل أيام اللقا يوم جمعة[2]

وعدد أبيات هذه القصيدة سبعمائة واثنان وستون بيتاً وتشغل جزءاً كبيراً من الديوان. ومطلع شرح الديوان: «الحمد لله الذى بفضله الفارض عمّر بيوت الأدب، وحسن للطبع شرح معان فيها بلوغ الأدب ... الخ»[3]. ويقول المؤلف فى آخر الكتاب نقلاً عن شرح الشيخ عبد الغنى النابلسى: «كان الفراغ منه عشية يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف من الهجرة». وقال مورخاً لتمام هذا الشرح.

ولابن الفارض الديوان لما حكى عقداً نظماً جوهريا
عنيت بشرحه هذا إلى أن تكامل أرخوه الفارضيا

وطبع الكتاب بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣١٠هـ. بعناية مصححة محمد الأسيوطى[4]. أما منظوماته التى يفتتح بها ديوانه، وتدل على صناعة شعرية فائقة. فهذا مطلعها:

سائق الأظعان يطوى البيد طى منعما عرج على كثبان طى
وبذات الشيح عج إن مررت بحى من عرب الجزع حى
وتلطف واجر ذكرى عندهم علهم إن ينظروا عطفاً على[5]

ومنها:

هل سمعتم أو رأيتم أسداً صاده لحظ مهاة أو ظبى[6]

(١) ديوان ابن الفارض الطبعة الثانية بمصر ص ٢ (٢) الديوان المذكور ص ٢٣ و ٤٤ (٣) شرح ديوان ابن الفارض جـ ١ ص ٢ (٤) شرح ديوان ابن الفارض آخر صفحة من الجزء الثانى (٥) ديوان ابن الفارض المذكور ص ٣ (٦) الديوان المذكور ص ٥

ومنها أيضاً:

أى ليالى الوصل هل من عودة ومن التعلل قول الصب أى
وبأى الطرق أرجو رجعها وبما أقضى ما أدرى بأى[1]
ذهب العمر ضياعاً وانقضى باطلاً إذ لم أفز منكم بشى

وهى طويلة. ولنأت الآن إلى مطلع قصيدة أخرى:

أرج النسيم سرى من الزوراء سحراً فأحيا ميت الأحياء
أهدى لنا أرواح نجد عرفه فالجو منه معنبر الأرجاء[2]

وكذلك قصيدته التى يتغزل فيها بأراضى نجد لأنها موطن ليلاه فيقول:

أوميض برق بالأبيرق لاحا أم فى ربى نجد أرى مصباحا؟
أم تلك ليلى العامرية أقبلت ليلاً فصيرت المساء صباحا[3]

أما قصيدته فى تحليل الحب وتعريفه فهى أشهر من نار على علم، وهى مضرب الأمثال. وهذا مطلعها:

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عناً وأوله سقم وآخره قتل

ومنها:

فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به شهيداً وإلا فالغرام له أهل[4]

وأما الخمرة فهو يصفها وصفاً نادراً، وهو لم يذقها على رأيى ورأى الكثيرين. فتراه يصفها أبدع مما وصف الحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس. ومن ذلك قصيدته التى مطلعها:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس وهى شمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها ولولا سناها ما تصورها الوهم[5]

ثم يقول:

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا ونور ولا نار وروح ولا جسم[6]

وللشيخ على سبط الناظم قصيدة مطولة نظمها تكملة لستة أبيات من نظم ابن الفارض. مطلعها:

نشرت فى موكب العشاق أعلامى وكان قبلى بلى فى الحب أعلامى[7]
وسرت فيه ولم أبرح بدولته حتى وجدت ملوك العشق خدامى

(١) الديوان المذكور ص ١٣ (٢) كذلك ص ٦٨ (٣) كذلك ص ٤٢ (٤) كذلك ص ٧٨ وهى طويلة تشتمل على اثنين وستين بيتا (٥) الديوان المذكور ص ٨٢ (٦) كذلك ص ٨٣ وهى قصيدة رائعة تشتمل على أحد وأربعين بيتا، وفى أبياتها خيال رائع ووصف دقيق (٧) كذلك ص ١١٥ وهى ذات خمسة وعشرين بيتا